

صيد الخاطر

317 - - فصل : جلال العبادة و جمال العابدين .

كلما أوغلت الفهوم في معرفة الخالق فشاهدت عظمتة و لطفه و رفعتة تاهت في محبته فخرجت عن حد الثبوت .

و قد كان خلق من الناس غلبت عليهم محبته فلم يقدرُوا على مخالطة الخلق .
و منهم من لم يقدر على السكوت عن الذكر .

و فيهم من لم ينم إلا غلبة و فيهم من هام في البراري و فيهم من إحترق في بدنه .
فيا حسن مخمورهم ما ألد سكره و يا عيش قلقهم ما أحسن وجده ! ! .

كان أبو عبيدة الخواص قد غلبه الوجد فكان يمشي في الأسواق يقول : [وا شوقاه إلى من يراني و لا أراه] .

و كان فتح بن سخرق يقول : قد طال شوقي إليك فعجل قدومي عليك .

و كان قيس بن الربيع كأنه مخمور من غير شراب .

و كان ابن عقيل يقول إن التبذل فيه سبحانه أحسن من التجل في غيره .
هل رأيت قط عراة أحسن من المحرمين ؟ .

هل رأيت للمتزينين برياش الدنيا سمًا كأثواب الصالحين ؟ .

هل رأيت خمارا أحسن من نعاس المتجهدين ؟ .

هل رأيت سكرًا أحسن من صعق الواجدين ؟ .

هل شاهدت ماء صافيا أصفى من دموع المتأسفين ؟ .

هل رأيت رؤوسا مائلة كرؤوس المنكسرين ؟ .

هل لصق بالأرض شيء أحسن من جباه المصلين ؟ .

هل حرك نسيم الأسحار أوراق الأشجار فبلغ مبلغ تحريكه أذيال المتجهدين ؟ .

هل ارتفعت أكف و إنبسطة أيد فضاهت أكف الراغبين ؟ .

هل حرك القلوب صوت ترجيع لحن أو رنة و تر كما حرك حنين المشتاقين ؟ .

و إنما يحسن التبذل في تحصيل أو في الأغراض .

فلذلك حسن التبذل في خدمة المنعم